

تحولات الدعوة الإسلامية في عصر الذكاء الاصطناعي: دراسة نقدية لآليات التأثير الرقمي وتحديات
الخطاب الدعوي

**Transformations of Islamic Da‘wah in the Age of Artificial Intelligence:
A Critical Study of Digital Influence Mechanisms and the Challenges of
Da‘wah Discourse**

الدكتورة أميمة بونخللة

Dr.Oumaima Bounakhla

Ph.D. in Islamic Thought, Hassan II University, Morocco
bounakhla.2012@gmail.com

الملخص:

يشهد العالم تحولات متسارعة بفعل الذكاء الاصطناعي، مما أعاد تشكيل فضاءات التواصل وفرض على الدعوة الإسلامية مراجعة أدواتها وآلياتها. ويناقش هذا البحث سبل توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحديد الخطاب الدعوي وتعزيز حضوره في البيئة الرقمية، مع الحفاظ على ثوابته الشرعية والأخلاقية. وينطلق البحث من إشكالية رئيسة تتمثل في كيفية الاستفادة من إمكانات الذكاء الاصطناعي لخدمة الدعوة الإسلامية دون المساس بأصالتها المرجعية، مع تناول قضايا المصادقية، وأخلاقيات المحتوى، وحدود التوظيف التقني. كما يتوقف عند التحول من المنابر التقليدية إلى المنصات الرقمية التي تتحكم فيها الخوارزميات، وما يثيره ذلك من تساؤلات حول العلاقة بين الانتشار والعمق العلمي، وإمكان تعويض البعد التربوي للدعوة بالوسائل الآلية.

ويعتمد البحث مقارنة تحليلية نقدية تستعرض أبرز تطبيقات الذكاء الاصطناعي في إنتاج المحتوى الدعوي وتحليل الجمهور وتخصيص الرسائل، مع تقويمها في ضوء مقاصد الشريعة والقواعد الشرعية، وبيان التحديات المرتبطة بالمحتوى الآلي، حفاظاً على مصداقية الخطاب الدعوي وأصالته في العصر الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الدعوة الإسلامية - الذكاء الاصطناعي - الإعلام الرقمي - الضوابط الشرعية

— الأخلاقيات الرقمية

Received: 12 May 2026
Revised: 8 June 2026
Accepted: 22 June 2026

*Corresponding Author:
Oumaima Bounakhla
Ph.D. in Islamic Thought,
Hassan II University,
Morocco
maminali@usim.edu.my

Abstract

The world is witnessing rapid transformations driven by the accelerated development of artificial intelligence (AI), which has reshaped communication landscapes and compelled Islamic da‘wah (Islamic outreach and preaching) to reconsider its tools and approaches. This study examines how AI technologies can be effectively employed to renew Islamic discourse and strengthen its presence in the digital environment while preserving its religious, ethical, and moral foundations.

The study is guided by a central research question: How can the potential of AI be harnessed to serve Islamic da‘wah without compromising its authentic religious reference framework? It further explores issues of credibility, content ethics, and the limits of technological integration. The paper also investigates the transition from traditional preaching venues to algorithm-driven digital platforms, raising critical questions about the balance between widespread online engagement and scholarly depth, as well as the extent to which AI can complement—without replacing—the educational and spiritual dimensions of da‘wah.

Adopting a critical analytical approach, the study reviews major AI applications in generating religious content, audience analysis, and personalized outreach. These applications are evaluated in light of the objectives of Islamic law (Maqāṣid al-Sharī‘ah) and established juristic principles, while addressing the challenges posed by AI-generated religious content to ensure the credibility, authenticity, and integrity of Islamic discourse in the digital age.

Keywords: Islamic Da‘wah; Artificial Intelligence (AI); Digital Media; Sharī‘ah Guidelines; Digital Ethics.

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وجعل الدعوة إلى سبيله فريضة ماضية في كل زمان ومكان، والصلاة والسلام على نبيه الكريم الذي بلغ الأمانة وأدى الرسالة، وعلى آله وصحبه الذين حملوا راية الدعوة بصدق وإخلاص.

أما بعد،

فإن الدعوة إلى الله عز وجل لم تتوقف يوماً عند حدود وسيلة بعينها، بل تجددت أدواتها عبر العصور مع ثبات مقاصدها، وهو ما يجعل استحضار هذا التجديد في عصر الذكاء الاصطناعي ضرورة منهجية تفرضها طبيعة المرحلة ومقتضيات البلاغ.

يشهد العالم المعاصر تحولات عميقة ومتسارعة بفعل التطور المتنامي لتقنيات الذكاء الاصطناعي، وهي تحولات لم تقتصر آثارها على المجال التقني فحسب، بل امتدت لتطال البنى المعرفية وأنماط التواصل وآليات إنتاج المعنى وتداوله. وفي خضم هذا التحول، يجد الخطاب الدعوي الإسلامي نفسه أمام منعطف تاريخي دقيق، حيث تتقاطع مرجعيته الأصيلة مع بيئة رقمية جديدة تُعيد تشكيل مفاهيم التأثير، والسلطة المعرفية، وطرائق التلقي. ومن ثم، لم يعد السؤال المطروح هو مدى انخراط الدعوة الإسلامية في هذا الفضاء الرقمي، بقدر ما أصبح يتمحور حول الكيفية التي يمكن بها تحقيق هذا الانخراط بصورة واعية، تحفظ أصالتها وتُعزز في الآن ذاته من فاعليتها.

يندرج هذا البحث ضمن هذا الأفق الإشكالي، ساعياً إلى استكشاف رهانات توظيف الذكاء الاصطناعي في تحديد آليات الدعوة الإسلامية، من خلال مقارنة تستحضر طبيعة التحولات الرقمية بوصفها بيئة حاضنة لأنماط جديدة من الوساطة والتأثير، لا مجرد أدوات تقنية محايدة. فالذكاء الاصطناعي، بما يقوم عليه من منطق خوارزمي، يُسهّم في إعادة ترتيب أولويات الظهور، وإعادة تشكيل معايير المصادقية، وهو ما يفرض على الخطاب الدعوي مراجعة أدواته ومقارباته بما ينسجم مع هذه التحولات، دون التفريط في ثوابته المرجعية.

وانطلاقاً من ذلك، ينتظم البحث في أربعة محاور كبرى مترابطة؛ يعنى أولها برصد التحولات الرقمية وأثرها في إعادة تشكيل الخطاب الدعوي، من حيث أنماط التعبير وآليات التأثير. ويُعالج ثانيها إمكانات الذكاء الاصطناعي في خدمة الدعوة الإسلامية، سواء على مستوى إنتاج المحتوى، أو تحليل الجمهور، أو تخصيص الرسائل الدعوية. أما المحور الثالث، فيتجه إلى استجلاء الضوابط الشرعية النازمة لهذا التوظيف، من خلال النظر في حدود الجواز والمنع، وما يرتبط بذلك من قضايا النسبة والمصادقية والمسؤولية العلمية. في حين يركز المحور الرابع على أخلاقيات الدعوة الرقمية، مستحضراً التحديات التي يطرحها الخطاب الآلي، وما قد ينجم عنه من تسطيح للمعنى أو تميع للمرجعية في ظل منطق الخوارزميات.

ينطلق البحث من إشكالية مركزية مفادها: كيف تحولت الدعوة من التبليغ إلى صناعة التأثير؟ وتتفرع عنها التساؤلات التالية: كيف انتقلت الدعوة من المسجد والخطب والحلقات الدعوية إلى التيك توك والريلز والبودكاست؟ هل أصبح معيار نجاح الدعوة هو الانتشار بدل العمق العلمي والتوعية؟ وهل يمكن للآلة مثل شات جي بي تي أن تنقل الروح التربوية للدعوة؟ وكيف أعاد الذكاء الاصطناعي تشكيل الخطاب الدعوي الإسلامي؟ وما مدى قدرة المؤسسات والدعاة على توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي بكفاءة؟

يعتمد البحث المنهج النقدي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لطبيعة الموضوع، إذ لا تقتصر القضية على وصف ظاهرة الدعوة الرقمية أو رصد أدواتها، بل تتجاوز ذلك إلى مساءلتها وتقويمها. فالتساؤل الحقيقي ليس: هل توظّف الدعوة الذكاء الاصطناعي؟ بل: كيف غيّر الذكاء الاصطناعي طبيعة التأثير الدعوي؟ وهل أصبح الخطاب الدعوي خاضعاً لمنطق الخوارزميات؟ وما حدود الاستفادة المشروعة منه؟ وأين يظل دور الداعية الإنسان الذي لا تُغني عنه الآلة؟ هذه التساؤلات تجعل البحث فكرياً تقويمياً، يستحضر في الآن ذاته الأطر المقاصدية للشريعة الإسلامية معياراً حاكماً في تقويم هذا التوظيف وتوجيهه.

ويخلص البحث إلى أن الذكاء الاصطناعي، على الرغم مما يوفره من فرص واسعة لتوسيع دائرة التأثير الدعوي وتعزيز حضوره في الفضاء الرقمي، يظل أداة تقتضي تأطيراً شرعياً وأخلاقياً دقيقاً، يحقق التوازن بين مقتضيات الفعالية الرقمية ومتطلبات الأمانة العلمية، بما يضمن صيانة الخطاب الدعوي من الانزلاق نحو التبسيط المخل أو التوظيف غير المسؤول، ويحفظ له رسالته في الهداية والتبليغ ضمن سياق رقمي متغير.

أولاً: التحولات الرقمية وإعادة تشكيل الخطاب الدعوي

لم تعد التحولات الرقمية¹ مجرد سياق تقني عابر، بل غدت بنية عميقة تُعيد تشكيل أنماط الوعي الإنساني، وتُعيد توزيع السلطة الرمزية داخل الفضاء العمومي. فالانتقال من مجتمع الاتصال الأحادي² إلى مجتمع الشبكات لم يفض فقط إلى توسيع نطاق الوصول إلى المعرفة، بل أسهم كذلك في تفكيك احتكار إنتاجها وتأويلها. وفي هذا الأفق الجديد، لم يعد الخطاب الدعوي الإسلامي بمنأى عن هذه التحولات، بل أضحي أحد الحقول التي تتقاطع فيها رهانات التقنية مع أسئلة المرجعية والسلطة والمعنى.

¹ يشير التحول الرقمي: Transformation Digital عملية تحويل نموذج أعمال المؤسسات الحكومية أو شركات القطاع الخاص إلى نموذج يعتمد على التكنولوجيات الرقمية في تقديم الخدمات وتصنيع المنتجات وتسيير الموارد البشرية.

حناشي، توفيق. التحولات الرقمية في الدول العربية، مجلة دراسات في الاقتصاد وإدارة الأعمال، المجلد 05، العدد 02، ديسمبر 2022، ص 145.

² النماذج الخطية (أحادية الاتجاه): بمعنى من المرسل إلى المستقبل دون وجود التغذية العكسية أو رد فعل فهي أحادية الاتجاه. المحاضرة الثالثة عشر: نماذج الاتصال . جامعة سطيف.

وقد أرسى الإسلام منذ فجره مبدأ التكيف مع وسائل التبليغ مع الثبات على مقاصده، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)، وهو نص جامع يُرسي ثوابت الخطاب الدعوي — الحكمة والموعظة والجدال الأحسن — بصرف النظر عن الوسيلة المستخدمة، مما يجعله مرجعاً حاكماً في تقويم أي توظيف تقني في هذا المجال.

لقد أفرزت الرقمنة³ ما يمكن تسميته بـ "الوساطة الخوارزمية"، حيث لم يعد الوصول إلى المحتوى رهيناً باختيارات المتلقي وحدها، بل أصبح خاضعاً لمنطق معقد من الترشيح والتصنيف تحكمه خوارزميات المنصات الرقمية. وهو ما أشار إليه الباحث⁴ Tarleton Gillespie حين اعتبر أن الخوارزميات لم تعد أدوات تقنية محايدة، بل فاعلاً مركزياً في تشكيل المجال العام وتحديد ما يُرى وما يُحجب⁵. وفي السياق الدعوي، يطرح هذا التحول

³ الرقمنة مفهوم حديث ارتبط ظهوره مع بروز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والذي نتج عنه التحول من استخدام الطرق التقليدية في نقل المعلومات والمعارف إلى استخدام الأرقام في نقل هذه المعلومات والمعارف بتوظيف هذه التكنولوجيا الحديثة في هذا الميدان .

حميدوش ع، بوزيدة (2020)، "اقتصاديات الأعمال القائمة على الرقمنة " المتطلبات والعوائد " تجارب دولية "دروس وعبر"، المجلة العلمية المستقبل الاقتصادي، المجلد 8. العدد 01، ص 44 .

⁴ يشغل منصب باحث رئيسي في مركز أبحاث مايكروسوفت في نيو إنجلاند، حيث أسهم في دراسة التحولات المعرفية والتقنية المرتبطة بالفضاء الرقمي وانعكاساتها على إنتاج المعرفة وتداولها. كما يعمل أستاذاً مشاركاً مساعداً في قسم الاتصالات بجامعة كورنيل، اذ ينخرط في التدريس والبحث الأكاديمي ضمن مجالات الإعلام الرقمي، والثقافة التقنية، وسياسات المعرفة. ويُعد من الباحثين المهتمين بتقاطعات القانون والتكنولوجيا والثقافة الرقمية، خاصة في ما يتعلق بقضايا الملكية الفكرية وأشكال التحكم في المحتوى داخل البيئات الرقمية. وقد برز اسمه من خلال مؤلفه المعروف *Wired Shut: Copyright and the Shape of Digital Culture*، الذي يتناول فيه التحولات العميقة التي أحدثتها تقنيات الحوسبة والمنصات الرقمية في بنية حقوق النشر، وكيف أعادت هذه التحولات تشكيل العلاقة بين المبدع، والمحتوى، والجمهور، في سياق ثقافة رقمية متغيرة باستمرار.

⁵ Gillespie, T. (2018). *Custodians of the internet: Platforms, content moderation, and the hidden decisions that shape social media*. Yale University Press.

إشكالا عميقا يتعلق بمدى قدرة الخطاب الديني على الحفاظ على مقاصده في بيئة تُعيد ترتيب الأولويات وفق معايير الانتشار والتفاعل، لا وفق معايير العلمية والرصانة.

من جهة أخرى، أسهمت التحولات الرقمية في إعادة تعريف مفهوم "السلطة الدينية". فإذا كان النموذج التقليدي يقوم على مركزية العالم أو المؤسسة العلمية بوصفها المرجع في الفتوى والتوجيه، فإن الفضاء الرقمي أتاح بروز فاعلين جدد، قد لا يمتلكون التأهيل العلمي الكافي، لكنهم يحظون برأسمال رمزي مستمد من القدرة على التأثير الرقمي. وهو ما ينسجم مع تحليل ⁶ Manuel Castells الذي يرى أن السلطة في مجتمع الشبكات لم تعد تُبنى على الموقع المؤسسي بقدر ما تُبنى على القدرة على التأثير داخل الشبكات ⁷. وفي هذا السياق، يصبح الخطاب الدعوي مهدداً بنوع من الميوعة، حيث تتعدد الأصوات وتتداخل، بما قد يؤدي إلى إرباك المتلقي وإضعاف معايير التمييز بين الخطاب الرصين وغيره.

ولعل من أبرز مظاهر هذا التحول كذلك، الانتقال من "الخطاب التلقيني" إلى "الخطاب التفاعلي". فقد ألغت المنصات الرقمية الحدود الفاصلة بين المرسل والمتلقي، وأصبح المتلقي فاعلاً مشاركاً في إنتاج المعنى، عبر التعليق

⁶ وُلد في 9 فبراير 1942، وهو عالم اجتماع إسباني يُعد من أبرز الباحثين المعاصرين في مجالات مجتمع المعلومات، والتواصل، والعملية. ارتبط اسمه بشكل وثيق بدراسة التحولات البنيوية التي أحدثتها التكنولوجيا الرقمية في المجتمعات الحديثة، خاصة من حيث إعادة تشكيل أنماط الاتصال، وبنية السلطة، وديناميات الاقتصاد العالمي في ظل ما يُعرف بـ "مجتمع الشبكات".

وقد أسهمت أعماله في ترسيخ فهم جديد للعملية بوصفها عملية متعددة الأبعاد تتداخل فيها التكنولوجيا مع الاقتصاد والثقافة والسياسة، حيث ركز على تحليل كيفية تأثير تدفقات المعلومات والشبكات الرقمية في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية على نطاق عالمي. ويُعد من أهم المرجعيات الفكرية في حقل دراسات الاتصال الرقمي وتحولات المجتمع المعاصر. وفي سياق مسيرته الأكاديمية، تولى في يناير 2020 منصب وزير الجامعات في الحكومة الإسبانية الثانية برئاسة بيدرو سانشيز، وهو ما يعكس الجمع بين اشتغاله الأكاديمي ومساهمته في تدبير السياسات العمومية، خاصة في مجال التعليم العالي والبحث العلمي.

⁷ Castells, M. (2012). *Networks of outrage and hope: Social movements in the Internet age*. Polity Press.

والمشاركة وإعادة الصياغة. وهذا التحول، وإن كان يفتح آفاقاً رحبة أمام الدعوة الإسلامية لتوسيع دائرة التأثير، إلا أنه يفرض في الآن ذاته تحديات تتعلق بضبط الخطاب والحفاظ على تماسكه. فالتفاعل المفتوح قد يُفضي أحياناً إلى تفكيك الرسالة الأصلية أو إخراجها من سياقها، خاصة في ظل ما يُعرف بـ"اقتصاد الانتباه"⁸ الذي يجعل من الإثارة والاختزال معياراً للانتشار⁹.

كما أن الطابع التسارعي للبيئة الرقمية أفرز نمطاً جديداً من الاستهلاك المعرفي، قائماً على السرعة والاختزال، وهو ما يتعارض في كثير من الأحيان مع طبيعة الخطاب الدعوي الذي يتطلب التدرج والتأصيل. وقد نبه إلى هذا التحول Nicholas Carr¹⁰ في كتابه *The Shallows* (2010)، حيث بيّن أن الوسائط الرقمية تُعيد تشكيل أنماط التفكير نحو مزيد من السطحية والتشظي. وفي هذا الإطار، يواجه الخطاب الدعوي تحدياً مزدوجاً: كيف يحافظ على عمقه المعرفي دون أن يفقد قدرته على التكيف مع إيقاع العصر الرقمي؟

وإذا كان الفضاء الرقمي قد أتاح إمكانيات غير مسبقة لنشر الخطاب الدعوي، فإنه في المقابل أفرز بيئة تتسم بقدر عالٍ من التنافسية والتشظي. فالمحتوى الدعوي لم يعد يتوجه إلى جمهور متجانس، بل إلى جماهير متعددة

⁸ يعد هيربرت سيمون عالم الاجتماع الأمريكي أول من أطلق تعبير "اقتصاد الانتباه". يطبق مفهوم اقتصاد الانتباه بشكل واضح في الشبكات الاجتماعية، فإدارة المحتوى على الصفحات الشخصية للأفراد والمؤسسات، كذلك التفاعل مع آراء المشاهدين وتعليقاتهم، أحد التطبيقات المهمة لاقتصاد الانتباه في المجال الاجتماعي وعلاوة على ذلك وفي شأن متصل بثورة المعلومات، يطبق اقتصاد الانتباه في عمليات الترويج والإعلان، وفي رسائل البريد الإلكتروني، فنظام الإعلانات عبر خدمات غوغل ادسنس يتم بناء على علم باهتمامات الشخص من خلال تصفح الإنترنت وتذكره جوجل وفيسبوك ويوتيوب من خلال الخوارزميات التي صممتها لهذا الهدف.

محمد بكير، استراتيجيات التقديم الذاتي والحجج الاتصالي في خطاب مؤثري منصة اليوتيوب وعلاقتها باقتصاد انتباه الشباب المصري

بالخارج تجاه القضايا المجتمعية، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد 23، العدد 3، (2024): 80.

Davenport & Beck, *The Attention Economy*, 2001⁹

¹⁰ نيكولاس ج. كار هو كاتب أمريكي من مواليد سنة 1959، يُعد من أبرز الأصوات النقدية في مجال دراسات التقنية وتأثيراتها على الفكر والثقافة

وسلوك الإنسان في العصر الرقمي. يتميز إنتاجه الفكري بمقاربة تحليلية نقدية تسائل التحولات التي أحدثتها التكنولوجيا الحديثة، خاصة الإنترنت

والوسائط الرقمية، في أنماط التفكير والتعلم والعمل، مع تركيز خاص على العلاقة بين الإنسان والآلة داخل المجتمع المعاصر.

ذات خلفيات معرفية وثقافية متباينة، وهو ما يستدعي إعادة النظر في أساليب الخطاب ومضامينه. وفي هذا السياق، يمكن استحضار مفهوم "التأطير (Framing)" كما طوّره Erving Goffman،¹¹ حيث يُفهم الخطاب بوصفه عملية تأطير للواقع وفق منظومات دلالية معينة¹². ومن ثم، فإن نجاح الخطاب الدعوي في البيئة الرقمية يظل رهيناً بقدرته على إعادة تأطير مضامينه بما يتلاءم مع تحولات السياق دون الإخلال بجوهره.

غير أن أخطر ما تطرحه التحولات الرقمية، هو إمكان "تفكيك المرجعية" لصالح منطق السيولة الرقمية. فمع تزايد الاعتماد على المنصات، أصبح الخطاب الدعوي عرضة لإعادة التشكيل وفق منطق الخوارزميات التي تُفضل المحتوى الأكثر تفاعلاً، لا الأكثر دقة. وهو ما قد يدفع بعض الفاعلين إلى تبسيط مفرط أو إثارة مفتعلة بغية تحقيق الانتشار، مما يُفضي إلى إفراغ الخطاب من مضمونه العلمي. وهنا تبرز الحاجة إلى استحضار البعد المقاصدي للشريعة، الذي يجعل من حفظ الدين والعقل معياراً حاكماً في تقويم الخطاب وتوجيهه.

ومع ذلك، لا ينبغي النظر إلى التحولات الرقمية من زاوية التهديد فقط، بل يتعين استحضار ما تتيحه من إمكانيات لإعادة تجديد الخطاب الدعوي. فقد وفرت هذه التحولات أدوات جديدة للتواصل، تسمح بالوصول

¹¹ إيرفينغ غوفمان هو عالم اجتماع وعالم نفس اجتماعي وكاتب كندي الأصل، يُعد من أبرز المنظرين في علم الاجتماع في القرن العشرين، وقد ارتبط اسمه خصوصاً بدراسة التفاعل الاجتماعي وتحليل الحياة اليومية بوصفها مسرحاً تؤدي فيه الأدوار الاجتماعية. ويُنظر إليه على نطاق واسع باعتباره أحد أكثر علماء الاجتماع الأمريكيين تأثيراً في القرن العشرين، نظراً لإسهاماته النظرية والمنهجية في فهم آليات التفاعل الرمزي وبناء الهوية داخل السياقات الاجتماعية المختلفة.

وقد احتل غوفمان مكانة مرموقة في التصنيفات الأكاديمية العالمية، حيث جاء في المرتبة السادسة ضمن دليل التميز للتعليم العالي سنة 2007 بين أبرز مؤلفي الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، متقدماً على عدد من الأسماء الفكرية الكبرى مثل يورغن هابرماس، ومتفوقاً في الترتيب على عدد من المفكرين البارزين، في حين جاء بعد كل من أنتوني غيدنز وبيير بورديو وميشال فوكو، وهو ما يعكس حجم تأثيره العميق في تطور الفكر السوسيولوجي الحديث.

¹² Goffman, E. (1986). *Frame analysis: An essay on the organization of experience*. Northeastern University Press. (Original work published 1974)

إلى فئات لم يكن الوصول إليها ممكنًا في السابق، كما تتيح إمكانات للتفاعل المباشر، وتقديم محتوى متنوع يجمع بين النص والصورة والصوت. غير أن استثمار هذه الإمكانيات يظل مشروطاً بوعي نقدي بطبيعة الوسيط الرقمي، وبمحدوده وإكراهاته.

إن إعادة تشكيل الخطاب الدعوي في العصر الرقمي لا تعني القطيعة مع التراث، بل تقتضي إعادة قراءته في ضوء التحولات الراهنة، بما يحقق التوازن بين الثبات والتجديد. فالدعوة، في جوهرها، خطاب هداية يتوجه إلى الإنسان في سياقه التاريخي، ومن ثم فإن تحديد أدواتها يظل ضرورة منهجية، لا خياراً ترفيلاً. غير أن هذا التجديد ينبغي أن يتم في إطار من الانضباط العلمي والوعي المقاصدي، بما يضمن صيانة الخطاب من الانزلاق نحو التبسيط المخل أو التوظيف غير المسؤول.

وخلاصة القول، إن التحولات الرقمية قد أعادت رسم معالم المجال الدعوي، وفرضت عليه تحديات غير مسبقة تتعلق بالسلطة والمصادقية والتأثير. غير أنها، في الوقت ذاته، فتحت آفاقاً جديدة لإعادة تحديد الخطاب وتوسيع مجاله. وبين هذا وذاك، يظل الرهان معقوداً على قدرة الفاعل الدعوي على استيعاب منطق التحول، وتطوير أدواته، دون التفريط في مرجعيته، بما يحقق للدعوة رسالتها في الهداية والتبليغ في عالم يتغير بوتيرة متسارعة.

ومن هنا، فإن الرؤية السديدة في توظيف الذكاء الاصطناعي لا تقوم على الإحلال بل على التكامل، إذ لا يُغني الذكاء الاصطناعي عن الداعية المؤهل الذي يجمع بين العلم الشرعي والقُدوة الحسنة والتأثير الروحي. فالدعوة في جوهرها علاقة إنسانية تربوية تقوم على الصدق والإخلاص، وهي أبعد لا تملكها الآلة مهما تطورت. ومن ثمّ، فإن الأمل هو أن تُوظف الوسائل الرقمية الحديثة وتقنيات الذكاء الاصطناعي لخدمة المقاصد الدعوية وتوسيع انتشارها، مع الحفاظ على الأصول الشرعية والقيم التربوية التي لا يمكن اختزالها في خوارزمية أو نموذج لغوي، فيتحقق بذلك توازن بين عراقة الدعوة وحدثات أدواتها.

ثانياً: إمكانيات الذكاء الاصطناعي في خدمة الدعوة الإسلامية

لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد تطور تقني يُضاف إلى أدوات العصر، بل أضحي إطاراً معرفياً وإجرائياً يُعيد تشكيل أنماط إنتاج المعرفة وتداولها، ويؤسس لمرحلة جديدة من التفاعل بين الإنسان والآلة. وفي هذا السياق، تبرز الدعوة الإسلامية بوصفها مجالاً حيويًا يمكن أن يستثمر هذه الإمكانيات، لا من باب الترف التقني، بل

باعتبارها ضرورة تفرضها تحولات البيئة الرقمية وتعقيداتها. ذلك أن الذكاء الاصطناعي، بما يوفره من قدرات تحليلية وتنبؤية وتوليدية، يفتح آفاقاً واسعة لإعادة بناء الخطاب الدعوي على نحو أكثر فاعلية وامتداداً.

تتجلى أولى هذه الإمكانيات في مجال إنتاج المحتوى الدعوي، حيث تتيح تقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي¹³ إمكان إنشاء نصوص وخطابات ومضامين متعددة الوسائط، تتسم بالسرعة والمرونة وقابلية التكيف مع سياقات مختلفة. غير أن أهمية هذه الإمكانية لا تكمن في بعدها الكمي فحسب، بل في قدرتها على دعم الفاعل الدعوي في بناء خطاب أكثر اتساقاً وتنظيماً، من خلال اقتراح هياكل معرفية، وربط الموضوعات بسياقاتها، واستحضار الأدلة والشواهد بصورة منهجية. وقد أشار Stuart¹⁴ و Peter Norvig¹⁵ في عملهما المرجعي *Approach Artificial Intelligence: A Modern* إلى أن الذكاء الاصطناعي

¹³ يُعدّ الذكاء الاصطناعي التوليدي (GenAI) تقنية حديثة وثرية مبتكرة، وهو جزء من مجال الذكاء الاصطناعي يُستخدم في إنشاء محتوى جديد دون الحاجة إلى الاعتماد على معالجة وتحليل البيانات المتوفرة مسبقاً فقط. ففي حين يتعامل الذكاء الاصطناعي التقليدي مع مهام مثل التصنيف والتنبؤ والتجميع، يركز الذكاء الاصطناعي التوليدي على إنتاج محتوى جديد مثل النصوص والصور والموسيقى، إضافة إلى إنشاء عوالم افتراضية مبتكرة، وهي مواد قد تختلف تمامًا عما ينتجه البشر. (Vadivu, 2024, p. 193)

¹⁴ ستيفارت راسل هو عالم حاسوب ومهندس وأستاذ جامعي بريطاني، وُلد سنة 1962 بمدينة بورتسموث في المملكة المتحدة. يُعد من أبرز الباحثين في مجال الذكاء الاصطناعي، حيث أسهمت أعماله العلمية في تطوير أسس هذا الحقل النظري والتطبيقي، خاصة في ما يتعلق بالأنظمة الذكية، والتعلم الآلي، ونماذج اتخاذ القرار. ويُعرف راسل أيضاً بانخراطه في النقاشات الأخلاقية والفلسفية المرتبطة بتطور الذكاء الاصطناعي، ولا سيما ما يتعلق بمخاطر الأنظمة الذكية المستقلة وسبل ضبطها بما يضمن توافقها مع القيم الإنسانية.

¹⁵ بيتر نورفينغ هو عالم حاسوب وباحث أمريكي متخصص في الذكاء الاصطناعي، وُلد في 14 ديسمبر 1956 بالولايات المتحدة الأمريكية. يُعد من أبرز الأسماء في هذا المجال، حيث أسهمت أبحاثه في تطوير تقنيات البحث الآلي ومعالجة اللغة الطبيعية وأنظمة الذكاء الاصطناعي. وهو عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، وكذلك في رابطة آلات الحوسبة، وقد حاز على عدة تكريمات علمية من بينها زمالة جمعية النهوض بالذكاء الاصطناعي سنة 2001، وزمالة رابطة آلات الحوسبة سنة 2006، تقديرًا لإسهاماته البحثية المؤثرة.

يقوم أساسًا على محاكاة العمليات الذهنية المعقدة، بما في ذلك إنتاج اللغة وتحليلها، وهو ما يفسر قدرته على المساهمة في بناء خطاب معرفي منظم¹⁶.

غير أن هذا التوظيف يظل مشروطًا بوعي نقدي، إذ لا يمكن للآلة أن تحل محل الاجتهاد البشري أو تحل إشكالات التأويل الديني، بل تظل أداة مساعدة تُسهل في تسريع الإنتاج وتنظيمه، دون أن تمتلك سلطة الإفتاء أو التوجيه. ومن هنا، فإن توظيف الذكاء الاصطناعي في إنتاج المحتوى الدعوي ينبغي أن يُفهم في إطار التكامل بين الإنسان والآلة، لا في إطار الإحلال.

أما الإمكانية الثانية، فتتمثل في تحليل الجمهور وفهم أنماط التلقي. فقد أتاح الذكاء الاصطناعي، من خلال تقنيات تحليل البيانات الضخمة، إمكان دراسة سلوك المستخدمين، وتحديد اهتماماتهم، ورصد تفاعلاتهم مع المحتوى. وهو ما يُمكن الخطاب الدعوي من الانتقال من منطق العموم إلى منطق التخصيص، بحيث يُوجّه الخطاب وفق خصائص الجمهور واحتياجاته. ويُعد هذا التحول من أبرز ملامح العصر الرقمي، حيث لم يعد الجمهور كتلة متجانسة، بل شبكة من الفئات المتنوعة التي تتطلب مقاربات مختلفة. وفي هذا الإطار، يؤكد Shoshana Zuboff¹⁷ في كتابها *The Age of Surveillance Capitalism* أن

¹⁶ Russell, S., & Norvig, P. (2021). *Artificial intelligence: A modern approach* (4th Global ed.). Pearson.

¹⁷ شوشانا زوبوف هي مؤلفة وأستاذة جامعية وعالمة نفس اجتماعي وفيلسوفة وباحثة أمريكية، وُلدت في 18 نوفمبر 1951. تُعد من أبرز الباحثين المعاصرين في تحليل التحولات التي أحدثتها التكنولوجيا الرقمية في الاقتصاد والمجتمع، خاصة في ما يتعلق بعلاقات القوة داخل الشركات الرقمية، وتأثير البيانات الضخمة على سلوك الأفراد وإعادة تشكيل أنماط العمل والإنتاج في العصر الحديث. وقد اشتهرت بأعمالها النقدية التي تناول ما يُعرف بـ "رأسمالية المراقبة"، حيث تسعى إلى تفكيك الآليات التي تعتمد عليها الشركات التكنولوجية في جمع البيانات وتوظيفها اقتصاديًا واجتماعيًا.

البيانات أصبحت موردًا استراتيجيًا يُستخدم لفهم السلوك الإنساني والتأثير فيه، وهو ما يمكن توظيفه—بشكل منضبط—في تعزيز فعالية الخطاب الدعوي¹⁸.

وتتصل بذلك الإمكانية الثالثة، وهي تخصيص الرسائل الدعوية (Personalization)، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُسهّم في صياغة رسائل تتناسب مع الخصوصيات الثقافية والمعرفية لكل فئة، بل لكل فرد أحيانًا. وهذا التخصيص، إذا أُحسن توظيفه، يمكن أن يعزز من أثر الخطاب، ويجعله أكثر قربًا من المتلقي. غير أن هذه الإمكانية تثير في الوقت ذاته إشكالات أخلاقية، تتعلق بحدود التأثير المشروع، وإمكانية الانزلاق نحو التلاعب أو التوجيه غير الواعي، وهو ما يستدعي تأطيرًا دقيقًا يضمن احترام حرية المتلقي ووعيه.

ومن الإمكانيات البارزة كذلك، دعم التعليم الدعوي والتكوين الشرعي، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُسهّم في بناء منصات تعليمية ذكية، تقدم محتوى تفاعليًا، وتتكيف مع مستوى المتعلم، وتوفر تغذية راجعة فورية. كما يمكن أن يُستخدم في تحليل النصوص التراثية، واستخراج المفاهيم، وربطها بسياقاتها، مما يفتح آفاقًا جديدة في دراسة العلوم الشرعية. وقد أشار¹⁹ Daniel Jurafsky و²⁰ James H. Martin في كتابهما *Speech and Language Processing* إلى أن معالجة اللغة الطبيعية تمكّن من تحليل النصوص المعقدة واستخلاص أنماطها الدلالية، وهو ما يمكن أن يُسهّم في خدمة التراث الإسلامي وفهمه بصورة أعمق²¹.

¹⁸ Zuboff, S. (2019). *The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power*. PublicAffairs.

¹⁹ أستاذ في اللغويات وعلوم الحاسوب بجامعة Stanford University، اشتهر بأبحاثه في معالجة اللغات الطبيعية، ولا سيما تطويره— بالتعاون مع دانييل جيلديا— أحد أوائل الأنظمة الآلية لتصنيف الأدوار الدلالية. وقد رُشّح لجائزة جيمس بيرد في الكتابة الأدبية، ونال زمالة ماك آرثر.

²⁰ عمل أستاذًا في University of California, Berkeley، كما شغل منصب أستاذ بجامعة University of Colorado Boulder في الولايات المتحدة الأمريكية.

²¹ Jurafsky, D., & Martin, J. H. (2023). *Speech and language processing: An introduction to natural language processing, computational linguistics, and speech recognition*. Draft version.

ولا يقل عن ذلك أهمية، توظيف الذكاء الاصطناعي في الترجمة ونقل الخطاب الدعوي عبر اللغات، حيث تتيح تقنيات الترجمة الآلية إمكانية إيصال الرسالة الإسلامية إلى جمهور عالمي، مع تقليل الحواجز اللغوية. غير أن هذه الإمكانية تظل محفوفة بتحديات تتعلق بدقة الترجمة، خاصة في النصوص ذات الحمولة المفاهيمية العميقة، مما يستدعي تدخلاً بشرياً لضمان سلامة المعنى.

ومن جهة أخرى، يتيح الذكاء الاصطناعي إمكانات في رصد الخطابات المنحرفة أو المتطرفة، من خلال تحليل المحتوى الرقمي وتحديد الأنماط الدلالية التي قد تشير إلى انحرافات فكرية. وهو ما يمكن أن يُسهم في حماية الخطاب الدعوي من التشويه، وتعزيز حضوره بوصفه خطاباً وسطياً مترنماً. غير أن هذا الاستخدام ينبغي أن يتم بحذر، حتى لا يتحول إلى أداة للرقابة المفرطة أو التضيق على حرية التعبير.

ومع كل هذه الإمكانيات، يظل التحدي الأكبر في إدماج الذكاء الاصطناعي ضمن رؤية دعوية متكاملة، لا تقتصر على استثمار الأدوات، بل تشمل إعادة التفكير في طبيعة الخطاب ذاته. فالذكاء الاصطناعي لا يفرض فقط أدوات جديدة، بل يفرض أيضاً منطقاً جديداً في التفكير والتواصل، يقوم على السرعة، والتفاعل، والتخصيص. ومن ثم، فإن نجاح الدعوة في استثمار هذه الإمكانيات يظل رهيناً بقدرتها على التكيف مع هذا المنطق، دون أن تفقد عمقها المعرفي أو أصالتها المرجعية.

إن الذكاء الاصطناعي، في نهاية المطاف، ليس غاية في ذاته، بل وسيلة يمكن أن تُسهم في تعزيز حضور الدعوة الإسلامية وتوسيع نطاق تأثيرها، إذا ما أُحسن توظيفه في إطار من الوعي النقدي والانضباط الشرعي. أما إذا استُخدم دون ضوابط، فقد يتحول إلى عامل إرباك، يُسهم في تسطيح الخطاب أو تمييع مرجعيته. ومن هنا، فإن الرهان الحقيقي لا يكمن في امتلاك التقنية، بل في القدرة على توجيهها توجيهاً رشيداً، يحقق مقاصد الدعوة، ويصون رسالتها في عالم يتشكل على إيقاع الخوارزميات.

ثالثاً: الضوابط الشرعية بين الجواز والمنع في توظيف الذكاء الاصطناعي

يُثير توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال الدعوي الإسلامي سؤالاً دقيقاً يتجاوز حدود النجاعة التقنية إلى عمق المشروعية الشرعية، إذ لا يتعلق الأمر بمجرد استعمال أداة مستحدثة، بل بإدماج وسيط معرفي جديد في حقل يتأسس أصلاً على الضبط والتوثيق والانضباط المقاصدي. ومن ثمّ، فإن النظر في هذا التوظيف لا يمكن أن ينفصل عن الأطر الأصولية التي حكمت تاريخياً تعامل الفقه الإسلامي مع النوازل، حيث تتداخل قواعد الإباحة الأصلية مع اعتبارات المآلات وسدّ الذرائع وتحقيق المصالح.

فالأصل المقرر عند جمهور الأصوليين أن الأشياء في ذاتها مباحة ما لم يرد دليل المنع،²² وهو ما يفتح المجال من حيث المبدأ للاستفادة من الذكاء الاصطناعي في خدمة الدعوة الإسلامية، سواء في نشر المعرفة أو تقريب الخطاب أو تسهيل الوصول إلى مصادره. غير أن هذا الأصل لا يُفهم على إطلاقه، بل يُقيّد بمجملته من الضوابط التي تستحضر طبيعة المجال الدعوي بوصفه مجالاً يرتبط بحفظ الدين والعقل، ويستدعي قدرًا عاليًا من الأمانة العلمية والانضباط المنهجي. ذلك أن الوسائل، وإن كانت في ذاتها مباحة، فإنها تكتسب حكمها من مقاصدها ومآلاتها، فإذا أفضت إلى مصلحة راجحة اعتُبرت مشروعة، وإذا أدت إلى مفسدة أو أخلّت بمقصد معتبر انقلب حكمها إلى المنع أو الكراهة بحسب درجتها.

وقد حدّر النبي ﷺ من التسرع في نقل القول دون تثبّت، فقال: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»²³، وهو توجيه نبوي يكتسب اليوم دلالة مضاعفة في زمن تتدفق فيه المعلومات بسرعة غير مسبوقة، ويُنتج فيه الذكاء الاصطناعي محتوى يبدو متماسكاً وقد يفتقر في حقيقته إلى الدقة والتوثيق.

وفي هذا السياق، يبرز الإشكال المتعلق بالمصادقية العلمية ونسبة القول، وهو من أخطر ما يطرحه الذكاء الاصطناعي في المجال الديني. فإنتاج نصوص دينية أو شبه دينية بواسطة أنظمة آلية، دون تمييز واضح بين ما هو اجتهاد بشري وما هو توليد تقني، يفتح الباب أمام نوع من التلبس المعرفي الذي قد يُفضي إلى نسبة الأقوال إلى غير أصحابها، أو إلى إيهام المتلقي بوجود سلطة علمية غير متحققة. وهذا مما يتعارض مع ما قرره العلماء من ضرورة التثبت في النقل، وتحريم القول على الله بغير علم، واشتراط الأهلية في من يتصدر للبيان. وعليه، فإن

²² الزحيلي، محمد مصطفى، *القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة*، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م،

ص 190.

²³ أخرجه مسلم في ((مقدمة الصحيح)) (5)، وأبو داود (4992)، وابن حبان (30) من حديث أبي هريرة

من الضوابط الأساسية في هذا الباب ضرورة التصريح بطبيعة المحتوى، وتوثيق مصادره، وإخضاعه لمراجعة علمية تضمن سلامته وانسجامه مع أصول الشريعة.

ويتأكد هذا الإشكال بشكل أوضح في مجال الفتوى، حيث تتجلى حساسية التوظيف التقني وحدوده. فالفتوى ليست مجرد نقل معلومة أو استرجاع حكم سابق، بل هي تنزيل للحكم الشرعي على واقعة مخصوصة، يستدعي فهمًا دقيقًا للنصوص، وإدراكًا لواقع المستفتي، واستحضارًا للمآلات. وهذه العملية، بطبيعتها المركبة، لا يمكن اختزالها في خوارزميات أو نماذج لغوية، مهما بلغت درجة تطورها، لأنها تتطلب ملكة اجتهادية تتجاوز مجرد المعالجة النصية إلى القدرة على الترجيح والتقدير. ومن ثم، فإن إسناد الفتوى إلى الذكاء الاصطناعي على جهة الاستقلال يُعدّ خروجًا عن الضوابط الشرعية، لما ينطوي عليه من إسناد القول في الدين إلى غير أهله، وتعرض المتلقي لاحتمالات الخطأ دون وعي بها²⁴.

ومع ذلك، لا يُفهم من هذا المنع إقصاء الذكاء الاصطناعي من المجال الإفتائي على الإطلاق، بل يمكن توظيفه في حدود معينة بوصفه أداة مساعدة، تُسهم في جمع الأقوال، وتصنيف المسائل، واقتراح التخرجات، وتيسير الوصول إلى المصادر، على أن يظل الحكم النهائي للمفتي المؤهل الذي يمتلك القدرة على الفهم والترجيح والتنزيل. وبهذا المعنى، يتحقق نوع من التكامل بين الإنسان والآلة، حيث يُستفاد من الإمكانيات التقنية دون التفريط في شروط الاجتهاد ومسؤولياته.

ويُضاف إلى ذلك ما يطرحه الذكاء الاصطناعي من إشكالات تتعلق بالمآلات، خاصة في بيئة رقمية تحكمها اعتبارات الانتشار والتفاعل. فقد يؤدي السعي إلى توسيع دائرة التأثير إلى نوع من التبسيط المخلّ في عرض القضايا الشرعية، أو إلى توظيف الإثارة على حساب الدقة، وهو ما يُفضي إلى إضعاف الوعي الديني بدل تعزيزه. كما أن اعتماد تقنيات التخصيص قد يفتح الباب أمام توجيه الخطاب بطريقة تؤثر في المتلقي دون وعيه الكامل، وهو ما يثير تساؤلات أخلاقية تتعلق بحدود التأثير المشروع. وفي هذا الإطار، يبرز دور فقه المآلات في

²⁴ يُنظر: الجاسر، مطلق جاسر. "الإفتاء باستخدام الذكاء الاصطناعي: حكمه الشرعي وأثره في اختلاف العلماء"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 39، العدد الخاص (4)، 2024.

تقويم هذه الاستخدامات، من خلال النظر في نتائجها المحتملة، وتقديم درء المفسد عند تعارضها مع جلب المصالح.

ومن جهة أخرى، فإن استحضار مقاصد الشريعة يظل عنصرًا حاسمًا في تأطير هذا التوظيف، إذ يُعدّ حفظ الدين من التحريف، وحفظ العقل من التضليل، معيارين أساسيين في تقويم أي استعمال تقني في المجال الدعوي. فإذا كان الذكاء الاصطناعي يُسهم في تقريب الفهم، وتيسير الوصول إلى المعرفة، وتعزيز الوعي، فإنه يكون منسجمًا مع هذه المقاصد. أما إذا أفضى إلى نشر معلومات غير دقيقة، أو إلى تجميع المرجعية، أو إلى إضعاف القدرة على التمييز، فإنه يكون مناقضًا لها، ويستدعي التقييد أو المنع.

إن الإشكال، في نهاية المطاف، لا يكمن في التقنية ذاتها، بل في كيفية توظيفها، وفي الإطار القيمي الذي يوجّه هذا التوظيف. فالذكاء الاصطناعي، بما هو أداة، يظل خاضعًا لنية المستخدم ووعيه، ويمكن أن يكون وسيلة لتعزيز الخطاب الدعوي أو لإرباكه. ومن هنا، فإن الحاجة ماسة إلى بناء وعي فقهي جديد يستوعب طبيعة هذه التحولات، ويُعيد صياغة العلاقة بين النص والتقنية، بما يحقق التوازن بين الانفتاح على المستجدات والحفاظ على الثوابت.

وعليه، فإن توظيف الذكاء الاصطناعي في الدعوة الإسلامية يظل ممكنًا ومشروعًا في الجملة، لكنه مشروط بجملة من الضوابط التي تضمن سلامة المقصد وصحة الوسيلة، وتمنع الانزلاق نحو توظيف غير مسؤول قد يضر بالخطاب أكثر مما ينفعه. وفي هذا التوازن الدقيق بين الجواز والمنع، تتجلى أهمية الاجتهاد المعاصر، القادر على استيعاب تعقيدات الواقع الرقمي، دون التفريط في أصول الشريعة ومقاصدها.

رابعًا: أخلاقيات الدعوة الرقمية وتحدياتها في عصر الذكاء الاصطناعي

يحيل الحديث عن أخلاقيات الدعوة الرقمية في عصر الذكاء الاصطناعي إلى مستوى أعمق من مجرد تقويم الأدوات أو تقنين الاستعمالات، إذ يتعلق الأمر بإعادة مساءلة القيم الناظمة للفعل الدعوي في سياق تحوّل جذري تمسّ فيه الوساطة التقنية بنية الخطاب ذاته، وشروط إنتاجه وتلقيه، وحدود تأثيره. فالبيئة الرقمية لم تُحدث فقط توسعًا في مجال الانتشار، بل أفرزت منطقتًا جديدًا للتواصل يقوم على السرعة، والتكثيف، والتفاعل

اللحظي، وهي خصائص تفرض على الخطاب الدعوي أن يعيد ترتيب أولوياته، دون أن يُفَرِّط في جوهره القيمي والمعرفي.

إن أول ما يلفت النظر في هذا السياق هو التوتر القائم بين مقتضيات “اقتصاد الانتباه” الذي يحكم الفضاء الرقمي، وبين مقتضيات “الأمانة العلمية” التي تُعدّ أساس الخطاب الدعوي. فالمنصات الرقمية تميل، بحكم خوارزمياتها، إلى تفضيل المحتوى الأكثر إثارة وتفاعلاً، لا الأكثر دقة وعمقاً، وهو ما قد يدفع بعض الفاعلين إلى اختزال المعاني، أو تبسيط القضايا المركبة، أو توظيف عناصر الإثارة على حساب الحقيقة. وفي هذا المنعطف، تبرز الأخلاق بوصفها معياراً ضابطاً، يذكر بأن الغاية من الدعوة ليست تحقيق الانتشار في ذاته، بل تحقيق الهداية على أساس من الصدق والبيان. ومن ثمّ، فإن كل انزلاق نحو التلاعب بالخطاب أو تضخيمه أو إخراجه عن سياقه، يُعدّ إخلالاً بوظيفة الدعوة، حتى وإن حقق انتشاراً واسعاً.

ويتعمق هذا الإشكال مع دخول الذكاء الاصطناعي بوصفه وسيطاً منتجاً للمحتوى، لا مجرد ناقل له. فالنماذج التوليدية قادرة على إنتاج نصوص تبدو متماسكة ومقنعة، لكنها قد تفتقر إلى الدقة أو تنطوي على أخطاء غير ظاهرة، وهو ما يطرح تحدياً أخلاقياً يتعلق بمسؤولية الفاعل الدعوي في التحقق والمراجعة. إن الاعتماد غير النقدي على هذه الأدوات قد يؤدي إلى نشر معلومات غير دقيقة، أو إلى إعادة إنتاج أخطاء في سياقات حساسة، وهو ما يتعارض مع مبدأ الثبوت الذي أكدت عليه الشريعة في نقل الأخبار. وعليه، فإن أخلاقيات الدعوة الرقمية تقتضي إرساء ثقافة تحقق صارمة، تجعل من المراجعة العلمية شرطاً لازماً قبل نشر أي محتوى، مهما بدا من حيث الشكل متماسكاً.

كما تطرح البيئة الرقمية تحدياً يتعلق بـ”تفكيك السياق”، حيث تُقَطَّع النصوص أو المقاطع من سياقها الأصلي، وتُعاد تداولها في سياقات جديدة قد تُغيّر من دلالتها. وهذا ما يُعرف في الدراسات الإعلامية بظاهرة “الاجتزاء”²⁵، وهي ظاهرة تزداد حدتها في ظل تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تُسهّم في إعادة تركيب المحتوى. وفي المجال الدعوي، قد يؤدي ذلك إلى تحريف المعاني أو إساءة فهم النصوص، خاصة إذا تعلق الأمر بقضايا

²⁵ ظاهرة “الاجتزاء الإعلامي (Contextomy)” هي ممارسة إعلامية تقوم على اقتطاع جزء من تصريح، خطاب، أو فيديو، ونشره بمعزل عن سياقه الأصلي، مما يؤدي إلى تغيير معناه الحقيقي، وتزييف الحقائق، وتوجيه الرأي العام نحو استنتاجات خاطئة تخدم أجندات معينة. العماوي، مصطفى. “قراءة في ظاهرة الاجتزاء من مواقع التواصل الاجتماعي: محاولة للفهم”، صحيفة الرأي، 4 أكتوبر 2025.

عقدية أو فقهية دقيقة. ومن ثمّ، فإن من مقتضيات الأخلاق الدعوية في العصر الرقمي الحرص على الحفاظ على السياق، وتقديم الخطاب في صورته الكاملة، وتجنب الاختزال الذي يُخلّ بالمعنى.

ومن التحديات الأخلاقية البارزة كذلك، مسألة "السلطة المعرفية" في ظل الذكاء الاصطناعي. فقد أتاح هذا الأخير إمكانية إنتاج محتوى ديني دون الحاجة إلى تأهيل علمي، مما أدى إلى بروز فاعلين جدد يفتقرون أحياناً إلى الحد الأدنى من الضبط العلمي. وهذا ما يُفضي إلى نوع من "تسييل المرجعية"، حيث تختلط الأصوات، ويصعب على المتلقي التمييز بين الخطاب الرصين وغيره. وفي هذا السياق، تبرز ضرورة إعادة الاعتبار لمعايير الأهلية العلمية، وتأكيد أن التقنية لا تُكسب صاحبها مشروعية علمية، بل تظل الأهلية شرطاً سابقاً على التوظيف، لا نتيجة له.

ولا يقل عن ذلك أهمية، التحدي المرتبط بـ"التأثير غير الواعي"، حيث تتيح تقنيات الذكاء الاصطناعي إمكان توجيه الرسائل بطريقة دقيقة تستهدف ميول الأفراد وتفضيلاتهم، وهو ما قد يتحول، في غياب الضوابط، إلى نوع من التلاعب بالمتلقي. وفي حين أن الدعوة بطبيعتها تسعى إلى التأثير، فإن هذا التأثير ينبغي أن يكون قائماً على الإقناع والبيان، لا على الاستدراج الخفي أو استغلال البيانات الشخصية. ومن ثمّ، فإن أخلاقيات الدعوة الرقمية تقتضي احترام وعي المتلقي، وعدم توظيف التقنيات على نحو يُضعف استقلاله أو يُوجّهه دون إدراك.

كما تبرز إشكالية "الخصوصية" بوصفها أحد أبعاد الأخلاق الرقمية، حيث يعتمد الذكاء الاصطناعي في كثير من تطبيقاته على تحليل بيانات المستخدمين. وفي هذا السياق، يصبح من الضروري ضمان أن يتم هذا الاستخدام في إطار يحترم كرامة الإنسان، ولا ينتهك خصوصيته، ولا يُحوّله إلى مجرد موضوع للتحليل أو التوجيه. فحفظ الكرامة الإنسانية يُعدّ من المقاصد الكبرى التي ينبغي أن تُراعى في كل توظيف تقني، بما في ذلك المجال الدعوي.

ومن جهة أخرى، تطرح سرعة تداول المعلومات في البيئة الرقمية تحدياً يتعلق بالمسؤولية، حيث يمكن أن ينتشر المحتوى في وقت وجيز إلى جمهور واسع، مما يُضاعف من أثر الخطأ إن وقع. وفي هذا الإطار، تصبح المسؤولية الأخلاقية مضاعفة، إذ لا يقتصر الأمر على إنتاج خطاب صحيح، بل يمتد إلى تقدير أثره ومآلاته. وهذا ما يستدعي نوعاً من "الوعي الاستباقي" الذي يأخذ بعين الاعتبار احتمالات سوء الفهم أو إساءة التوظيف.

إن أخلاقيات الدعوة الرقمية، في نهاية المطاف، لا تنفصل عن مقاصد الشريعة، بل تُعدّ امتداداً لها في سياق جديد. فحفظ الدين يقتضي صيانة الخطاب من التحريف، وحفظ العقل يقتضي تجنب التضليل، وحفظ الكرامة يقتضي احترام الإنسان في تعامله مع التقنية. ومن ثمّ، فإن أيّ توظيف للذكاء الاصطناعي في الدعوة ينبغي أن يُقاس بمدى انسجامه مع هذه المقاصد، لا بمدى قدرته على تحقيق الانتشار.

وقد حرص السلف الصالح على صون الخطاب الديني من كل تحريف أو تزيف، فكان منهجهم قائماً على الثبوت والأمانة في النقل، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله، إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيم أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة بصيراً بالشعر، وبما يحتاج إليه العلم والقرآن، ويستعمل مع هذا لإنصات وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأفكار، وتكون له قريحة (أي ملكة وموهبة) بعد هذا، فإن كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي.»²⁶ معبراً بذلك عن مبدأ الأهلية والمسؤولية في توصيل الرسالة. وهو ما ينبغي استحضاره اليوم في كل توظيف للذكاء الاصطناعي في الدعوة، إذ المسؤولية لا تسقط بتوسط الآلة.

وعليه، فإن التحدي الحقيقي لا يكمن في امتلاك أدوات الذكاء الاصطناعي، بل في القدرة على توجيهها ضمن إطار أخلاقي متماسك، يوازن بين مقتضيات الفعالية الرقمية ومتطلبات الأمانة العلمية. فالدعوة، في جوهرها، خطاب مسؤول، لا يُقاس أثره بعدد المتابعين أو حجم التفاعل، بل بقدرته على تحقيق الهداية على أساس من الصدق والبيان. وفي عالم تُعيد فيه الخوارزميات تشكيل الوعي، تظل الأخلاق هي الضامن الأسمى لصيانة الخطاب، وحفظ رسالته من الانزلاق في مسارات لا تنسجم مع غايته.

خاتمة وتوصيات:

تكشف هذه الدراسة، في ضوء تحليلها للتحولات الرقمية وإمكانات الذكاء الاصطناعي وضوابطه الشرعية وأبعاده الأخلاقية، أن الخطاب الدعوي الإسلامي يقف اليوم عند مفترق طرق دقيق، حيث تتقاطع فرص غير

²⁶ أنظر: الفقيه والمتفقه (2/ 157)، مطابع القصيم بالرياض.

مسبوقة للتجديد والتوسع مع تحديات عميقة تمسّ جوهر المرجعية ووظيفة الخطاب. فالذكاء الاصطناعي، بما يتيح من قدرات هائلة في إنتاج المحتوى وتحليل الجمهور وتخصيص الرسائل، يفتح أمام الدعوة آفاقاً رحبة لتعزيز حضورها في الفضاء الرقمي، غير أنّ هذه الإمكانيات تظل مشروطة بمدى وعي الفاعل الدعوي بطبيعة الوسيط الذي يوظفه، وبحدود ما يمكن أن يُسند إليه دون إخلال بالأمانة العلمية أو بالمقاصد الشرعية.

وقد بيّن البحث أن التحولات الرقمية لم تقتصر على تغيير أدوات التواصل، بل أعادت تشكيل بنية الخطاب ذاته، من حيث أنماط التأثير، ومصادر السلطة، وعلاقة المرسل بالمتلقي. كما أبرز أن الذكاء الاصطناعي، رغم كونه أداة داعمة، لا يمكن أن يحل محل الاجتهاد البشري، خاصة في المجالات الحساسة كالفتوى، التي تظل مشروطة بالأهلية العلمية وفهم الواقع واستحضار المآلات. ومن جهة أخرى، أظهر التحليل أن غياب التأطير الشرعي والأخلاقي قد يُفضي إلى انزلاقات خطيرة، من قبيل تميع المرجعية، أو نشر معلومات غير دقيقة، أو التلاعب بالمتلقي تحت غطاء التخصيص الرقمي.

وعليه، فإن الرهان الحقيقي لا يكمن في مجرد امتلاك أدوات الذكاء الاصطناعي، بل في القدرة على إدماجها ضمن رؤية دعوية متكاملة، تُحسن التوفيق بين مقتضيات الفعالية الرقمية ومتطلبات الانضباط العلمي والقيمي. فالدعوة، في جوهرها، ليست خطاباً تقنياً يُقاس بمدى انتشاره، بل رسالة هداية تتأسس على الصدق والبيان، وتستمد مشروعيتها من التزامها بالمقاصد الكبرى للشرعية.

وانطلاقاً من ذلك، يمكن اقتراح جملة من التوصيات التي من شأنها تأطير هذا التوظيف وتعزيز نجاعته:

- ضرورة تطوير وعي فقهي معاصر يستوعب تحولات الذكاء الاصطناعي، ويُعيد صياغة القواعد الأصولية بما يُمكن من التعامل الرشيد مع النوازل الرقمية، دون التفريط في الثوابت.
- التأكيد على مركزية العنصر البشري في العملية الدعوية، خاصة في مجالات الاجتهاد والفتوى، مع توظيف الذكاء الاصطناعي بوصفه أداة مساعدة لا بديلاً عن العالم المؤهل.
- العمل على بناء نموذج تكاملي يجمع بين الدعوة التقليدية وتقنيات الذكاء الاصطناعي، بحيث تظل الحلقات العلمية والمساجد والتواصل المباشر بين الداعية والمدعو ركيزة أساسية، فيما تُوظف المنصات الرقمية وأدوات الذكاء الاصطناعي امتداداً لها لا بديلاً عنها، مما يحقق التوازن بين عمق الأثر التربوي واتساع دائرة الانتشار.

- إرساء ضوابط واضحة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في إنتاج المحتوى الدعوي، تقوم على الشفافية في نسبة المحتوى، والتوثيق الدقيق للمصادر، والمراجعة العلمية قبل النشر .
- تطوير منصات دعوية رقمية تستثمر إمكانات الذكاء الاصطناعي في تحليل الجمهور وتخصيص الرسائل، مع الالتزام بأخلاقيات التأثير واحترام وعي المتلقي وخصوصيته .
- إدماج التكوين في أخلاقيات الذكاء الاصطناعي ضمن برامج إعداد الدعاة، بما يُمكنهم من فهم التحديات المرتبطة بالبيئة الرقمية والتعامل معها بوعي نقدي .
- تشجيع الاجتهاد الجماعي والمؤسساتي من خلال المجامع الفقهية والهيئات العلمية، لصياغة أطر مرجعية تُنظّم توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال الدعوي .
- العمل على إنتاج محتوى دعوي يجمع بين العمق العلمي والجاذبية الرقمية، بما يحقق التوازن بين متطلبات العصر وثوابت الخطاب .

وخلاصة القول، إن الذكاء الاصطناعي، على الرغم مما يحمله من إمكانات واعدة، يظل مجالاً محفوفاً بتحديات تستدعي يقظة معرفية وأخلاقية مستمرة. ولا يمكن للدعوة الإسلامية أن تستثمر هذه الإمكانيات على نحو رشيد إلا إذا انطلقت من وعي عميق بطبيعة التحول، ومن التزام صادق بمقاصدها، بما يضمن لها حضوراً فاعلاً ومسؤولاً في عالم يتشكل على إيقاع التقنية، دون أن تفقد روحها أو تنحرف عن رسالتها.

لائحة المراجع والمصادر:

- الجاسر، مطلق جاسر. "الإفتاء باستخدام الذكاء الاصطناعي: حكمه الشرعي وأثره في اختلاف العلماء"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 39، العدد الخاص (4)، 2024.
- حميدوش ع، بوزيدة (2020)، "اقتصاديات الأعمال القائمة على الرقمنة: المتطلبات والعوائد، تجارب دولية، دروس وعبر"، المجلة العلمية المستقبل الاقتصادي، المجلد 8، العدد 01.
- حناشي، توفيق. التحولات الرقمية في الدول العربية، مجلة دراسات في الاقتصاد وإدارة الأعمال، المجلد 05، العدد 02، ديسمبر 2022.
- الزحيلي، محمد مصطفى. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م.
- العمادي، مصطفى. "قراءة في ظاهرة الاجتزاء من مواقع التواصل الاجتماعي: محاولة للفهم"، صحيفة الرأي، 4 أكتوبر 2025.
- محمد بكير، استراتيجيات التقديم الذاتي والحِجاج الاتصالي في خطاب مؤثري منصة اليوتيوب وعلاقتها باقتصاد انتباه الشباب المصري بالخارج تجاه القضايا المجتمعية، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد 23، العدد 3، 2024.

Carr, N. *The shallows: What the Internet is doing to our brains*. W. W. Norton & Company, 2010.

Castells, M. *Networks of outrage and hope: Social movements in the Internet age*. Polity Press, 2012.

Davenport, T. H., & Beck, J. C. *The attention economy: Understanding the new currency of business*. Harvard Business School Press, 2002.

Goffman, E. *Frame analysis: An essay on the organization of experience*. Harvard University Press, 1974.

Jurafsky, D., & Martin, J. H. *Speech and language processing* (2nd ed.). Prentice Hall, 2008.

Litman, J. *Wired shut: Copyright and the shape of digital culture*. The MIT Press, 2007.

Russell, S. J., & Norvig, P. *Artificial intelligence: A modern approach* (4th ed.). Pearson, 2021.

Zuboff, S. *The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power*. PublicAffairs, 2019.

Acknowledgements

شكر وتقدير:

تتقدم الباحثة بالشكر إلى (Hassan II) Ph.D. in Islamic Thought, University, Morocco)، لإعطاء بيئة مواتية لإجراء وبناء فكرة هذا المقال.

Conflict Of Interests

تعارض المصالح:

تعلن وتعتز الباحثة بعدم وجود تنافس في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها فيما تتعلق بكتابة هذا المقال.

Authors' Contributions

مساهمة الباحثين:

صممت هذه الدراسة (تحولات الدعوة الإسلامية في عصر الذكاء الاصطناعي: دراسة نقدية لآليات التأثير الرقمي وتحديات الخطاب الدعوي) وجمعت بعض الدراسات السابقة لكتابة هذا المقال.